الدبلوماسية في الإسلام

د. محمد نعيمان سليمان

مما لاشك فيه أن الشعوب اتصل بعضها ببعض منذ أقـــدم العصور ، وتبادل أفرادها المنافع والمصالح ، وعلى مر الزمن إزداد عدد السكان وتكونت وحدات مستقلة بذاتها ، تسعى كل منها للاحتفاظ بكيانها وسط الوحـدات الأخرى المختلفة ، قال الله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (١) وقال المؤرخ ابن خلدون « إن ما توفر عمرانه من الأقطار وتعددت الأمم فى جهاته وكثر سكانه اتسعت أحوال أهله ، وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم (٢) » وعلى ذلك فكان لابد من وقوع نزاع بين الأفراد ، فإذا لم يسو المتنازعون خلافاتهم بأنفسهم لجأ كل فرد من الجانبين إلى كبير قومه ليدفع الظلم عنه ويرد إليه حقه ، فكان كبير القوم فى العادة يتولى ، بنفسه المفاوضة مع كبير القوم الآخر ، لفض النزاع وتارة يرسل رسلا من قبله للقيام بهذه المهمة ، ولما كان من البشر حب السيطرة والنزاع على الاستئثار بالأرض ، واستغلال ثروتها ، وقعت المعارك الدامية بين بنى الإنسان ، وعم الخراب دور الأمم والشعوب ويرى علماء النفس أن الرضى عن الذات والاستمتاع بالحياة ، لايكون إلا بقضاء الحاجات الأساسية ما كان منها جسديا وما كان منها نفسياً ، وأهم مافى الأمر أن الحاجات إذا لم ترض ، فان الفرد يشعر بعدم الراحة والتوتر ، ويحاول القيام بأعمال تعيد إلى نفسه وجسده إتزانهما الذى أخلت به الحاجة غير

---

(١) من سورة الحجرات آية ١٢

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٣

المقضية وهكذا فإن الإنسان الجائع يبحث عن الطعام ، وحين تقضى الحاجة تحدث حالة من الاتزان الجسدى أو النفسى ، وتستشعر النفس الرضى (١) .

ولقد ذكر بعض العلماء ، أن الشر بدأ فى العالم كله حين وضع أول إنسان أول علامة على قطعة أرض وقال « هذه ملكى » فمنذ تلك اللحظات بدأت الحدود والقيود ، وبدأت الصراعات وولدت القوانين » ، وظهر منذ تلك اللحظة القانون الطبيعى والقانون الوضعى ، ولكن الأديان السماوية أعطت الطبيعة مادية وبشرية قيمة كبيرة ... لأنها من خلق الله ، ولكل شىء حكمة الخير والشر على السواء ، إذن فهناك إحترام كبير للابقاء على الصلة بين الإنسان مهما بلغ علمه وعقله وبين الطبيعة ، وبالتالى فالقانون الطبيعى سيظل دائماً له حكمة وله نفع وله مكان ، والانسلاخ عنه مستحيل .

وفى نفس الوقت نزلت الأديان السماوية بأحكام تقترب وتبتعد عن القوانين ، ولكن فيها قدر من القانون فمثلا الدين الإسلامى قد نزل مقننا لأشياء كثيرة ، فنظم حياة الإنسان بين قومه فى مجال الزواج والطلاق والبيع والشراء والإرث مثلا ينظمها تنظيماً شاملا محدوداً وهو بذلك لم يلغ العقل البشرى ولم يحرم الإنسان من حق التفكير والاجتهاد فيما يوفر للمجتمع الإنسانى سبل العيش والحياة الهادئة الكريمة (٢) ، ومن خلال العرض السابق يتضح للقارىء الكريم أنه كانت تسبق الحروب إنذارات توجه إلى من يراد حربه وبعدها يرسل الرسل للتفاوض فى الصلح بين المتحاربين ، وكان النذر والرسل يؤدون مهمتهم ، ثم يعودون إلى بلادهم من غير أن يمسهم أعداؤهم بسوء ، لذلك يمكن القول بأن الدبلوماسية كانت تمارس منذ العصور القديمة على أساس من الدين والأخلاق ، وليس على ضوء قواعد القانون الدولى ، التى

---

(١) مقالة للدكتور فاخر عاقل بمجلة العربى .

(٢) من مقال الأستاذ أحمد بهاء الدين . مجلة العربى

لم يكن معروفا فى تلك العصـــور القديمة وكان يطلق على تسوية الخلاف والصلح كلمة المفاوض « السفير » إذ لم يشع كلمة الدبلوماسية إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى — أصلها كلمة يونانية وافدة على اللغة العربية مأخوذة من كلمة دبلوم ومعناها محرر رسمى ، لعقود الصلح أو المفاوضات بين الأمم المتحاربة(١) » .

المفاوضة فى الجاهليـة :

وعرف العرب فى الجاهلية — شأنهم فى ذلك كسائر الأقوام والجماعات البشرية- التفاوض بقصد تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، فاستخدموا هذه الوسيلة فى تنظيم العلاقات فيما بينهم وبين غيرهم ، وكانت أداتهـــم فى الخروج من عزلتهم فى شبه الجزيرة ، وتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة فى الشرق والشمال وهكذا شاعت المفاوضات فى أوقات السلم والحرب معا، لدرجة أنها كانت وظيفة من الوظائف الهامة حول البيت العتيق وشرف عظيم لبنى هاشم حافظوا عليها مدة طويلة من الزمن ، وكان صاحبها ذا حق مطلق فى البت فى شئون الصلح بعد الحرب أو الخلافات التى تقوم بين قريش والقبائل الأخرى ، أو بينهم وبين الأجانب ، وكان يقوم على هذا المنصب عمر بن الخطاب(٢) » .

المفاوضات فى الإســلام :

وكان من الطبيعى بعد ظهور الإسلام أن تستمر المفاوضات بل تتدعم كوسيلة لتحقيق أهدافه الروحية ومبادئه الإنسانية ، وأداة لدعم الوحدة السياسية العربية ، وتأسيس الدولة الاسلامية وتثبيتها ، والخروج بها إلى

---

(١) السلطات الثلاث د/سليمان الطماوى ص ٢٥٠

(٢) القول المبين فى سيرة سيد المرسلين د / الطيب النجار ص٣٥

آفاق أرحب فى العلاقات الدولية ، وكان رسول الله ﷺ مفاوضا ناجحا بفضل ما أودعه الله من مناقب ، تتجلى فى الفطنة وحدة الذكاء وحسن التصرف فى مواجهة المشكلات وقدرة على الوصول إلى الحلول الناجحة .

وآية ذلك موقفه قبل البعثة : احتكم إليه لفض مانشب من نزاع بين عشائر قريش على وضع الحجر الأســـود المقدس فى مكانه من الكعبة ثم قال : هلم إلى ثوبا فأتى به فنثره على الأرض وأخذ الحجر الأسود بين يديه ووضعه على الثوب ثم قال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف منه ، طرف هذا الثوب ، فلما أجابوه إلى ماطلب قال لهم ارفعوا جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا بالحجر موضعه من بناء الكعبة تناوله محمد من الثوب ووضعه موضعه (١) .

وهكذا حسم الأمر ، وحقنت الدماء بين زعماء قريش فى ذلك الوقت . وصورة أخرى تظهر فيها براعة المفاوض « حيث عقد رسول الله محالفة بينه وبين الأوس والخزرج قبل هجرته إلى المدينة ،مما كان له أكبر الأثر فى نجاح خطة الهجرة ، وقد عقدت معاهدة الصداقة والدفاع تلك بيعة العقبة الأولى وبيعتها الثانية ، فكان التدرج آية على اقتداره وحسن تدبيره ، وفهمه لفن المفاوضة وإتقانه له ، مما جعل الصورة مشرقة بين الأنصار والمهاجرين فى طيبة (١) وسار على نهجه الخلفاء الراشدين ، حيث سفر على بن أبى طالب بين الناس وبين عثمان بن عفان فى الفتنة التى حدثت قبل مقتله (٢) واستمر الحال كذلك فى عهد بنى أمية ، فكانوا فى حروبهم وفتوحهم ،إذا تداعوا إلى الصلح مشى السفراء بينهم .

---

(١) سيرة بن هشام الجزء الثانى ص ٢٣٠

(١) صور من حياة الرسول ، الأستاذ أمين دويدار ص ٤٦٤

(٢) الكامل لابن الأثير جـ٤ ص ١٩٥

ولقد عبر معاوية بن أبي سفيان عن جوهر الصفات والمناقب التي يجب أن يتحلى بها السفير في قولته المأثورة « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوها شددتها وإن شدوها أرخيتها (١) » وتطورت المفاوضات في عصر الدولة العباسية من معاوضة الصلح إلى المخابرات والمفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة ، ولم تقتصر المفاوضات على الخلفاء والأمراء المسلمين بعضهم وبعض ، بل شملت علاقاتهم التجارية والسياسية مع رؤساء الدول الأجنبية ، فجرت المفاوضات الإسلامية بين العباسيين وملوك الشرق في الهند والصين ، كما جرت بين ملوك أوروبا وملوك الإسلام في الشرق والاندلس ، والتاريخ حافل بأخبار هذه المفاوضات إلى أن استقر الاصطلاح في العصر الحديث على أن السفير هو وكيل حكومته المرخص بتمثيلها لدى دولة أخرى في جميع المفاوضات الهامة ، فالسفير في عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسمياً من دولة إلى أخرى ليكون نائباً لا وكيلا (٢) .

وسوف أضع أمام القارىء الكريم صوراً من المفاوضات التي دارت بين الرسول الكريم وبين قريش في صلح الحديبية الذي كان له أجل الأثر في مستقبل الدعوة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية وخارجها . خرج رسول الله ﷺ من المدينة مع هلال ذي القعدة ١١ فبراير سنة ٦٢٨ ، ومعه من النساء أم سلمة ومن المسلمين نحو ألف وخمسمائة ، لا يحملون من السلاح غير السيوف في أغمادها وركب الرسول ناقته « القصواء » وسار بأصحابه حتى وصل إلى ذي الحليفة « على نحو ستة أميال من المدينة فصلى هناك الظهر ، ثم دعا بالبدن فجللها (٣) وأشعرها (٤) وقلدها القلائد (٥) ، وفعل أصحابه بمثل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي جـ١ ص ١٢٥ ، الطبري جـ٤ ص ٣٢٠

(٢) السلطات الثلاث . سليمان الطماوي ص ٣٣

(٣) جللها جل الهدى : كساها . (٤) أشعرها : ميزها بعلامة مميزة

(٥) قلدها : علق في عنقها شيئاً كالقلادة .

ما فعل بالهدى ، ثم أحرم ومعه أصحابه بالعمرة واتجهوا نحو مكة محرمين يتجاوبون بالتلبية « لبيك اللهم لبيك » فكان كل من يراهم فى هذا المظهر الجميل لا يشك فى أنهم قد خرجوا إلا مسالمين ، لا يبغون إلا أن يؤدوا مناسكهم ، وطلب النبى من بعض أصحابه أن يسلك بهم طريقاً غير طريق قريش التى ما إن علمت بخروج النبى إلى مكة ، إلا وقد خرجت بجيش كبير ليمنعوا النبى وصحبه من دخول مكة ، فجاء رجل من قبيلة أسلم ، فسلك بالمسلمين طريقاً وعراً ، شق ، على المسلمين إجتيازه ، ثم أفضى بهم إلى أرض بها مهبط « الحديبية » من أسفل مكة «وهناك ترك ناقته القصواء » فدهش الناس وقالوا « خلأت القصواء » أى حرنت فقال النبى ماخلأت (١) ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة(٢) »

ثم قال النبى الكريم : والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم ، وتعظيم حرمات الله ، إلا أعطيتهم(٣) ، ثم أمر الناس أن ينزلوا حيث كانوا .

قريش ترسل سفراء ما :

فلما استقر صلى الله عليه وسلم بالحديبية أتى إليه بديل بن ورقاء فى نفر من رجال خزاعة ، يسألونه عن سبب مجيئه ومجىء المسلمين معـــه ، فقال النبى إنا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين ، فرجع بديل بن ورقاء

---

(١) خلأت: بركت قال أبو ذر الخلاء فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب، وقال بعضهم لا يقال إلا للناقة خاصة انظر لسان العرب .

(٢) سيرة ابن هشام الجزء الثانى ص ٣١٠

(٣) المرجع السابق ص ٣١١

إلى قريش وقال لهم إنه لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً للبيت . فما كان ردهم « إلا أن قالوا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبداً (١) » .

سفارة عروة بن مسعود الثقفي :

أرسلت قريش عروة بن مسعود إلى النبي وصحبه لعدم ثقتهم فى رأى بديل بن ورقاء فقال عروة للنبي « إنى تركت قومك قد استنفروا لك وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أمرين : إما أن تجتاح قومك ، فلم نسمع برجل إجتاح قومه قبلك وإما أن يخذلك من نرى معك فإنى لا أرى معك إلا أوباشاً(٢) من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم، فقال له أبو بكر ،ويحك . أنحن نخذله؟(٣) وكان عروة فى خلال حديثه يتناول لحية رسول الله وهو يكلمه ، جرياً على عادة العرب عند الملاطفة والرغبة فى التواصل والتراحم ، فكلما مدّ عروة يده إلى لحية رسول الله ، قرع المغيرة يده بكعب السيف وهو يقول: اكفف يدك عن وجـــه رسول الله قبل ألا تصل إليك(٤) . فيقول عروة وهو لا يعرفه ، ويحك ما أفظك وما أغلظك ، فيبتسم رسول الله ، ثم رجع عروة ابن مسعود الثقفي إلى قريش يقول لهم : يامعشر قريش إنى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ــ ما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه ، والله ما يحدون إليه النظر ، وما يرفعون

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ٤ ص ٢١٥

(٢) الأوباش رعاع الناس

(٣) التاريخ السياسى لحسن إبراهيم الجزء الأول ص ١٦٠

(٤) صور من حياة الرسول . أمين دويدار ص ٤٥٨ قبل ألا تصل إليك : قبل أن أقطعها .

عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى امرىء فيفعل ، وقد حزرت القوم ، فرأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم ، فروا رأيكم ، وقد عرض عليكم خطته ، فاروه ياقوم واقبلوا ماعرض عليكم فإنى ناصح لكم ، وانصرف عروة إلى الطائف » .

سفارة الحليس بن علقمة سيد الأحابيس :

طلب الحليس من قريش أن يذهب إلى رسول الله ، فقالوا إذهب إليه ، فلما أشرف الحليس على رسول الله ﷺ قال : « هذا فلان من قوم يعظمون الهدى ، فابعثوا الهدى فى وجهه فبعثوه واستقبلوه يضجون بالتلبية ، فلما رأى الهدى يسيل فى الوادى عليه القلائد ، ورأى القوم محرمين قد تفلوا وشعثوا رجع ولم يصل إلى النبى إعظاماً لما رأى ، وقال لقريش ، أما والله ما حالفناكم على أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً لحرمته مؤديا لحقه ؟ والذى نفسى بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيس نفرة رجل واحد ، فقالوا له : ياحليس كل مارأيت مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لانفسنا بعض ماترضى به(١) » .

سفراء الرسول إلى قريش :

رأى رسول الله ﷺ ، أن يبعث من قبله رسولا إلى قريش ليؤكد لهم إنما جاء إلى البيت زائراً لاغازياً مسالماً لا محارباً ، فبعث إليهم خراش ابن أمية الخزاعى ، ولكنهم لم يقبلوا منه شيئاً وعقروا جمله وهموا به ليقتلوه ، فمنعه منهم الحليس سيد الأحابيش فاحتملها منهم رسول الله وغفرها لهم . ثم أرسل إليهم عثمان بن عفان ، فلم يستطع عثمان دخول مكة حتى إستجاره أبان بن سعيد بن العاص وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه ، وحاول

---

(١) انظر سيرة ابن هشام الجزء الثانى ص ٣١٢

عثمان أن يقنع قريش بكل وسيلة فلم يقتنعوا ، وطالت مراوضة عثمان لقريش حتى حبس بينهم ثلاثة أيام ، وشاع بين المسلمين أنه قتل .

بيعة الرضوان :

مهما يكن من الأمر فقد قلق المسلمون بالحديبية على عثمان أشد القلق وتمثل أمامهم غدر قريش وقتلهم إياه فى هذا الشهر الذى لا تجيز فيه أديان العرب جميعا لعدو أن يقتل فى حرم الكعبة ولا فى حرم مكة عدوه . وتمثل أمامهم غدر قريش برجل ذهب إليهم فى رسالة سلم ومودعة ودخل فى روع النبى عليه السلام أن قريشاً قتلت عثمان فغدرت فى الشهر الحرام ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا أصحابه إليه وقد وقف تحت الشجرة فبايعوه جميعاً على ألا يفروا حتى الموت بايعوه ، وكلهم ثابت الإيمان (١) حتى نزل فى ذلك قرآن كريم ، « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً(١) » .

قريشاً ترسل سهيل بن عمرو :

بلغ قريش أمر هذه البيعة ، وردها هذا العمل الجرىء إلى رشدها وأخذت تقلب الأمر على جميع الوجوه ، وتفكر فى أمرها على هدى وبصيرة وأرسلت إلى رسول الله ﷺ سهيلا ، فاستقبله النبى ﷺ مستبشراً بقدومه حتى قال لأصحابه حين رآه مقبلا من بعيد ، قد سهل أمركم ، القوم مائلون إليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح فابعثوا الهدى وأظهروا التلبية ، ولعل ذلك يلين قلوبهم » .

---

(١) صور من حياة الرسول : أمين دويدار ص ٤٥٨

(٢) سورة الفتح آية ١٨

عهد الحديبية :

فى مارس سنة ٦٢٨ م طلب سهيل بن عمرو سفير مفاوض قريش أن يكتب العهد بين قريش ومحمد ونصوص هذا العهد . كالآتى :

دعا النبى الكريم على بن أبى طالب وقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل « امسك لا أعرف الرحمن الرحيم بل اكتب باسمك اللهم قال رسول الله « اكتب باسمك اللهم » ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل « أمسك » لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك قال رسول الله ، اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، ثم كتب العهد وفيه أنهما تهادنا عشر سنين(١) فى رأى أكثر كتاب السيرة وسنتين فى قول الواقدى (٢) وأن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً من رجال محمد لم يردّوه عليه ، وأنه من أحب من العرب مخالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحب مخالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها فى العام الذى يليه ، فيدخلها ويقيموا بها ثلاثة ايام ومعهم من السلاح السيوف فى قربها ولا سلاح غيره » .

وقبل رسول الله هذا الصلح على ما فى ظاهره من غبن وحيف وجرى فى شأنه على غير ما كان يجرى عليه من مشاورة أصحابه فيما يهمهم من الأمر .

وعلى الرغم مما بدا عليهم يومذاك من ألم وضجر فإنه لم ينزل على رأيهم فيه ، فقد كره المسلمون الصلح ، وبرموا به ودا خلهم منه أمر عظيم ، لدرجة أن عمر بن الخطاب كان ضيق الصدر شديد الأسى ، لما رأى من تساهل رسول

---

(١) سيرة ابن هشام الجزء الثانى ص ٣١٥ — ٣١٧

(٢) المغازى للواقدى ص ٦١١ .

الله ولميته ، ومن تعنت قريش وصلابتها ، فلم يلبث أن أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ألست برسول الله ؟ قال « بلى » قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال « بلى » قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ فقال رسول الله ﷺ « أنا عبد الله لن أخالف أمره ولن يضيعنى (١) » ولما انتهى التوقيع على عهد الحديبية طلب النبى من أصحابه فقال : « قوموا فانحروا واحلقوا وحلوا » فلم يجبه أحد إلى ذلك فرددها ثلاث مرات فلم يفعلوا . فدخل على أم سلمة وهو شديد الغضب ، فقالت : ماشأنك يارسول الله؟ قال : « هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا » وذكر لها مالقى من الناس ، فقالت يارسول الله ، لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح ، ثم أشارت عليه أن يخرج ولا يكلم منهم أحداً ، وينحر بدنه ، ويحلق رأسه ففعل النبى ذلك فلما رأى الناس ذلك فعلوا مثل مافعل النبى ورجع النبى إلى المدينة وبينما هو فى الطريق ومعه أصحابه أنزل الله تعالى عليه سورة الفتح ، « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

وهكذا نال الرسول عليه السلام بالمفاوضات السلمية ما لا يظن أنه ينال إلا بالحرب وتلك أعلى مراتب المفاوض العبقرى فكانت معاهدة الحديبية نصراً عزيزاً ، مهد للفتح الأكبر : فتح مكة بعد ذلك بعامين حيث قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً » .

ومن خلال العرض السابق لصور صلح الحديبية وبراعة النبى الكريم فى مفاوضاته مع قريش ، ظهرت بصورة واضحة قيمة المفاوض فالفن . الدبلوماسى كما يطلق عليه فى العصر الحديث يمثل قوة الدولة فى صلاتها بالعالم الخارجى .

---

(١) سيرة ابن هشام الجزء الثانى ص٣١٧

ملامح شخصية الدبلوماسي :

ولقد حفلت الأسفار العربية بالوصايا التي خلفها الحكماء والقادة والحكام في شأن السفارة وصفات السفير ووسائل اختباره ، وما يستحب فيه من طباع وأوصاف ليكون أهلا للرسالة وتمثيل مرسله .

من ذلك نرى رسول الله ﷺ قد عهد بالسفارة إلى دحية بن خليفة إلى هراكليوس إمبراطور بيزنطة وهو في قمة انتصاراته وأوج عظمته وإيمانه بدينه ليعرض عليه الإيمان بدين محمد ﷺ من بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، وإذا كان الروم يعنون بالزينة والأبهة فقد كان مما أثر عن « دحية » جمال المظهر وحسن السمت حتى كان رسول الله ﷺ يذكر أن جبريل كان ينزل على صورة دحية في مواضع كثيرة ، منها ماروى عنه أنه قال يوم بدر هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي إني نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وكان ﷺ يحب دحية لما فيه من رجاحة عقل وكياسة وحسن حيلة ، ولقد عاش دحية إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان(١) » .

وصورة أخرى للمفاوض المسلم وهو عامر بن شراحبيل الشعبي في خلافة عبد الملك بن مروان ، فقد كان من فقهاء الكوفة وعلمائها وحجة في تاريخ العرب قبل الإسلام وأنسابهم وأشعارهم وقد رشحه للسفارة الحجاج بن يوسف الثقفي ليكون سفيراً إلى البلاط البيزنطي .

وعندما قابل الخليفة عبد الملك بن مروان الشعبي جرى الاختبار التالي قال الخليفة : ياشعبي ما العلم ؟ فقال : هو ما يقربك من الجنة ويباعدك من النار ، قال الخليفة ياشعبي ما العقل ؟ فقال : ما يعرفك عواقب رشدك ومواقع فيك ، قال الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله ؟ فقال : إذا كان

---

(١) انظر : مقال : الأستاذ أحمد عادل كمال بمجلة العربي ص ١٤٣

حافظاً للسانه ، مدارياً لأهل زمانه مقبلا على شأنه(١) »

ولقد أنشد الشعراء العرب أبياتاً فى فضل السفير منها :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

ويقول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

« وللبحث بقية »

د . محمد نيسان سليمان
مدرس التاريخ بالكلية

---

(١) انظر مقال الأستاذ حسن فتح الباب ص ١٢٠ من مجلة العربى